المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

المخلفات المادية تشهد على نشاط الانسان في منطقة بجاية خلال العصور القديمة

Les vestiges matériels témoins de l'activité de l'homme dans la région de Bejaia a l'époque antique

د. قبايلي كاهينة
المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
kebaili.kahina@ensb.dz

تاريخ الإرسال: 2022/05/15 تاريخ القبول: 2022/09/28 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

لعبت منطقة بجاية دورا هاما في حوض البحر الأبيض المتوسط، وصنعت لنفسها مجدا بات يؤثر في حياة سكانها من أقدم العصور الى يومنا هذا. وما وصلت اليه من رقي يؤكد وزنها السياسي واهميتها الاقتصادية الثقافية والاجتماعية.

تاريخ بجاية يبدأ مع استيطان الجماعات البشرية الأولى على ضفاف واد الصومام وعلى طول منطقة الخليج، الذي يعود على الأقل الى العصر الحجري القديم الأوسط، حيث تشهد مخلفات عديدة على هذا النشاط. أما عن أول المدن الهامة في المنطقة، مدينة صلداي التي بنيت عند مصب وادي الصومام، التي أسسها الفينيقيون حسب الروايات القديمة، وكانت احدى محطاتهم التجارية الهامة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وبعد ضعف المدن الفينيقية وفقدانها لاستقلاليتها ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد تحولت المدينة الى أملاك قرطاج، ثم الى أملاك الممالك المحلية وأخيرا الحقت بالأراضي الرومانية، فازدهرت في ظلها وازدادت أهميتها بفضل حالتها القانونية (مستوطنة). وهذا النمو والازدهار جعل منها مركزا حضاريا كبيرا في العصور الوسطى.

الكلمات المفتاحية: بجاية، صالداي، الناصرية، وادي الصومام، خليج بجاية.

Abstract:

Bejaia a joué un rôle important dans le bassin de la Méditerranée. Ce rôle confirme la puissance politique, sociale, économique et culturelle de cette région, son héritage influence encore notre monde

L'Histoire de Bejaia commence avec les premières occupations humaines du territoire d'oued Soummam et sur la côte, depuis au moins le Paléolithique Moyen, où on trouve un très grand nombre d'activités humaines. La première ville importante connue apparait à l'embouchure d'oued Soummam nommée Saldae, les anciens récits évoquaient la fondation de la ville par les phéniciens, elle est l'un des comptoirs commerciaux indispensables.

Les cites phéniciennes perdent leur indépendance à partir du 8eme siècle av. J-C, Saldae tombe sous la domination carthaginoise, puis Romaine. Cette ville est devenue de plus en plus importante en raison de son statut municipal (colonia), industriel, commercial et culturel. La croissance et le développement pendant cette époque ont fait de Saldae un centre urbain rayonnant au Moyen Age.

Keywords: Bejaia, Saldae, Naceria, Oued Soummam, Golfe de Bejaia.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

1. مقدمة:

تتمتع منطقة بجاية ببيئة جغرافية مكنتها من الحفاظ على مقوماتها، وجعلتها تنفرد في خصائصها وتركيب نسيجها الاجتماعي عما جاورها من المناطق. ما أهلها لتلعب دور محوريا عبر العصور، حيث وفرت الشروط الملائمة للإنتاج مناخا مناسبا للاستقرار البشري منذ عصر ما قبل التاريخ، وهذا ما دلت عليه المصادر المختلفة. وأصبحت منجزاتها في العصور القديمة القاعدة الأساسية التي حركت الاحداث السياسية والدينية في الفترات اللاحقة، والأرضية العريضة للشعاع الحضاري الذي عرفته في العصور الوسطى، فيا ترى ما هي الدلائل والشواهد المادية لهذا النشاط البشري في العصور القديمة؟

2ـ الاستيطان المبكر للإنسان في المنطقة:

تأثرت الجزائر بالحركات التكتونية والالتوائية التي عرفتها القارة الافريقية على طول تاريخها الجيولوجي من فترة ما قبل الزمن الجيولوجي الأول الى أحدث فترة في الزمن الجيولوجي الرابع. باستثناء شمالها الذي لا تظهر فيه التكوينات الأركية، حيث لا تغطيها إلا تكوينات الزمن الجيولوجي الأول وما بعده.[1] فتلك السلسلة من التغيرات المتعاقبة انتهت في الزمن الجيولوجي الثالث بظهور الشكل الحالي مع استمرار التأثيرات اليومية للانجراف والترسيب.[2] وباعتبار منطقة بجاية جزء منها تأثرت بدورها بنفس هذه العوامل التي شكلت المظاهر التضارسية المختلفة كباقي اجزاءها.

تتميز منطقة بجاية بسيادة الطابع الجبلي وتنوع التضاريس والارتفاع المتوسط، حيث تظهر في غربه سلسلة جبال جرجرة والتي تعرف قديما بجبال فيراتوس (Feratus)، والذي يظهر في لوحة بيتانجر(Table de Peutinger) (أنظر اللوحة).

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

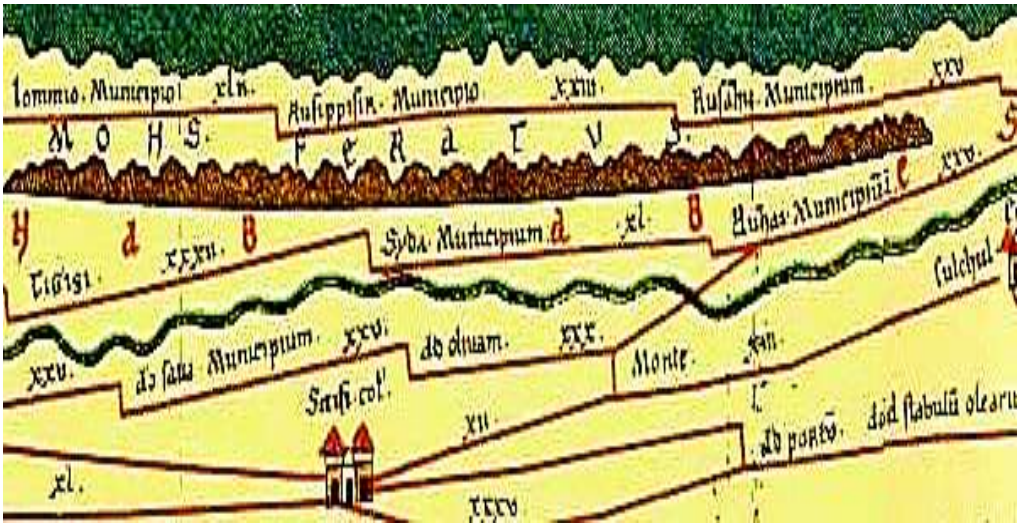

جزء من لوحة بيتانجر توضح لنا جبال فيراتوس (جرجرة)

وتتكون هذه الجبال من صخور جيرية مشققة تعود في تكوينها الى الزمن الجيولوجي الثاني والتي صنفها سفرنين (Savornin)الى زمرة اللياس.[3] تتميز بأنها تذوب ببطء شديد في مياه الامطار التي تذيب عند سقوطها غاز ثاني أكسيد الكربون، وهذا ما جعلها تشتهر بكثرة الكهوف. أما شرق وادي الصومام فتظهر سلسلة جبلية جيرية مرتفعة أطلق على تكويناتها سفرنين اسم الاوليتيك(Olithique)، وهي أحدث من زمرة اللياس، تحتوي على صخور جيرية، والحصوية ودولوميتية. تتكون من اختلاط الجير بكربونات المغنسيوم بنسب متعادلة تقريبا،[4] يصل ارتفاعها الى 2000 متر، والمتمثلة في جبال البابور وتبابورث والتي تتميز بممرات وخوانق جزأت التلال والهضاب من أشهرها خوانق خراطة. تمتد هذه الجبال من البيبان أي من المنحدر الجنوبي لحوض وادي الصومام الي جنوب سهل عنابة[5]، وبخصوص أصل التسمية فقد يكون هذان الاسمان معروفان منذ القدم، اذ ورد جذع الكلمة في أسماء قبائل بابار(Babares) أو سوبوربور(Suburbure).[6]

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أما جبال البيبان والتي يصل ارتفاعها الى 1417 متر فنجدها مختلفة عن سابقتها. تتكون من صخور رسوبية حديثة وسميكة من الشيست، تتخللها تكوينات إما حصوية أو طينية أو مارينية، وصخور نارية قديمة كثيرا ما تظهر فيها صخور رملية تعود الى الزمن الجيولوجي الأول في جهاته الشمالية، ومن الملاحظ قلة الصخور الجيرية والكروارتزية.[7]

ساعدت طبيعة صخور المنطقة على ظهور مغارات وكهوف، استعملتها المجموعات البشرية التي سكنت حوض الصومام وساحل خليج بجاية للإقامة أو العمل أو الاثنان معا في عصور ما قبل التاريخ، وما عثر فيها من أثار يبين لنا كيفية استغلال الانسان لمختلف الثروات الطبيعية، وتحويلها الى أدوات مختلفة، التي تشهد عن تطوره وبراعته. ففي البداية صنع أدوات حجرية ثم صنع أدوات أكثر تقدما كالفخار والحلي والنحاس. ومن المواقع الأثرية التي تشهد على ذلك موقع علي باشا(Ali Bacha)، إذ وجد أ. ديبروج (A. Debruge) سنة 1902 في هذا الموقع بقايا اثرية منها فخار نيوليتي نادر ايبرومغربي، وبقايا عظمية بشرية من فصيلة الانسان العاقل الحفري من جنس انسان مشتي العربي.[8] أما في مغارة غلدمان التي استعملها الإنسان بدورها كملجأ، عثر فيها على أدوات عظمية كثيرة وقطعة فخارية الى جانب بعض العظام البشرية.[9]

وفي الملاجئ الصخرية المحفورة في جرف أفلو بو رمال(Afalou-bou- Rhummel) شرق بجاية بالقرب من ملبو(Malbou) على الطريق المؤدي الى جيجل وجدوا بقايا أثرية تعود الى العصر الحجري القديم الأعلى تنتمي الى الحضارة الابرومغربية، منها عظام بشرية لأكثر من 50 شخص من الجنسين ومن أعمار مختلفة، منهم 23 ذكر، 14 أنثى و06 أطفال، من فصيلة الانسان العاقل الحفري من جنس انسان مشتي العربي.[10]

فهذه المؤشرات بينت لنا نشاط هذه المجموعات ومختلف الانجازات المتمثلة في الصناعة الحجرية والعظمية، حيث استغلت أحجار السيلكس المنتشرة والعظام التي جمعت من بقايا الانسان والحيوان في صناعة حاجياتهم.[11]

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وفي العصور اللاحقة – أي في العصر النيوليتي وما بعده– تطورت الصناعة والمادة المستعملة حيث استعمل الطين والصلصال والنحاس، فظهرت صناعة الفخار البدائي ثم الصناعة المعدنية كمرحلة أكثر تطورا. هذا ما تؤكده على الأقل البقايا الاثرية التي كشف عليها في ملجأ غير بعيد عن قمة القردة(Pic des singes)، والمتمثلة في مجموعة من الأدوات، منها قطع فخارية وأدوت نحاسية، والتي عثر عليها في جيب من جيوب كهف علي باشا المتمثلة في مئات من الحلقات والصفائح مربعة من النحاس، وهذا المكان اعتبره ستيفان غزيل مشغل لصناعة المعدن.[12]

3ــ الزراعة أساس الاستقرار:

يمثل الماء أحد العناصر الأساسية لبقاء الإنسان، وازدادت أهميته بعد أن تحول هذا الأخير من مستهلك للغذاء الى منتج له، فنمت وتطورت حضارات ودول على ضفاف الأنهار والوديان. ويعتبر وادي الصومام أيضا من أهم عوامل استقرار الانسان في حوضه وفي ساحل خليج بجاية، فكان له الفضل في استقطاب المجموعات البشرية منذ عصر ما قبل التاريخ.

ينتمي وادي الصومام الى الأودية التلية الهامة التي تصب في البحر المتوسط، يبلغ طوله 210كلم، يرفده في جهاته العليا وادي بوسلام(Bou Sellam) الذي يلتقي في مدينة أقبوا بوادي الساحل (Sahel) المجرى الأساسي له،[13] يتغذى من المرتفعات التلية والاطلسية من الامطار الغزيرة والثلوج الذائبة، فتتكون السيول والجداول منحدرة الى الأسفل نحو المجرى، الذي يندفع اندفاعا كبيرا آخذ معه كل ما يصادفه أمامه من الصخور الصغيرة والمتوسطة والجلاميد الكبيرة، وتبلغ حمولته المذابة ما بين 14 و19 غرام في المتر المكعب، بينما تبلغ التعرية النوعية عند محطة سيدي عيش 537طن/ كلومتر بكمية تساقط مقدر بـــ430 مليمتر، ويتأثر بكمية الامطار المتساقطة فكلما زادت درجة الفيضان زادت معها كفاءة الوادي في نقل المواد المجرورة، لذا نجدها تتأثر بفصل الجفاف لأن منسوب الماء ينخفض وسرعة تياره تتباطأ.[14]

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أما عن التسمية الحالية للوادي، فالصومام (Soummam)، كلمة مشتقة حسب سكان المنطقة من الكلمة الامازيغية "أسمام" والذي يعني الحامض، والتي قد يكون لها علاقة مع نبات بري ذو أزهار صفراء حامض اسمه باللغة الأمازيغية أسمام (Assamam) والجمع اسمامان(Issamamen) المنتشر على ضفافه، وهو نبات الحميضة بالعربية، ونبات أوقزاليس دي بيرمود(oxalis des bermudes) أو أوقزاليس بيس كبراي(Oxalis pes-caprae) بالفرنسية. وتسمية الصومام تداولتها الكتابات التاريخية للفترة الاستعمارية الفرنسية، لربما بتحريف الكلمة الاصلية الى صومام(Soummam)، ومن هذه الكتابات على سبيل المثال لا الحصر مؤلفات ادوارد كات(Edouard Cat).[15] وكتب بصياغة أخرى في هذه الفترة، وهي: الصومان (Soummane) والتي ظهرت في مؤلفات منها ستيفان غزيل(Stéphane Gsell)،[16] وجان ماري لاسير(J. M Lassere). [17]

أما في كتابات العصر الوسيط عرف بتسميات أخرى، فذكر عند الشريف الادريسي باسم وادي بجاية،[18] وباسم الوادي الكبير عند عبد الواحد المراكشي في ذكر أسماء أنهار بلاد المغرب، حيث قال : " ونهر بجاية الذي يسمى الوادي الكبير هو منتزهها وعليه بساتينها وقصورها." [19]

أما في العصور القديمة فقد ورد باسم نازافا (Νασανα) أو نازافاث (Νασανααθ) عند الجغرافي الاسكندري بطليموس (Ptolémée)، وهي كلمة مكونة من الجذع سافا وبادئة مضافة (Préfixe) وهي نا (Na)، التي تضاف أحيانا في آخر الكلمات(suffixe)، فعلى سبيل المثال، في اسم طوبنة (Tobna) والهدنة(Hodna). أما جذر سافا (Sava) نجده قريب من الكلمة (سافوس) Savos التي ذكرها بطليموس، وأفوس(Aveus)التي وردت عند بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela) وبلينيوس (Plinius).[20] وهي نفس التسمية التي أطلقت في الفترة الرومانية على المجرى الأساسي لوادي الصومام والمتمثلة في فلومن سافا (Sava Flumen)، وبما أن ففلومن (Flumen) تعني في اللغة الرومانية مجري مائي، وادي أو نهر،[21] تكون كلمة سافا (SAVA) اسمه. ووردت سافا أيضا في خط سير أنطونين(Itinéraire Antonin)، في اسم محطة أد سافا (Ad Sava) الموجودة على مسافة 23 كيلومتر من مدينة سطيف، والتي تبعد بنفس المسافة تقريبا من واد بوسلام الرافد الثاني

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

لوادي الصومام، لذا قد يكون واد بوسلام هو المجرى الرئيسي لوادي الصومام عند الرومان وليس وادي الساحل.[22] وعليه يكون اسم الوادي كله أخذ منه.

نجد على جانبي وادي الصومام سهل ضيق المساحة للغاية بسبب الطبيعة الجبلية لسطحها، يتكون من رواسب بحيرية يرجع معظمها الى نهاية الزمن الجيولوجي الثالث في عصره الميوسين والى الزمن الجيولوجي الرابع. تغطيه تربة سليسية جيرية وجبسية، وأتربة سيليسية طينية حمراء.[23] فلهذه المفتتات الصخرية لهاعلاقة بتكوينات الجبال المجاورة. فلضيق هذا السهل لم يترك مجالا كافيا للترسيب، وهذا ما يفسر قلة المدرجات على طوله أيضا، لأن السيول تهدمها بعد أن تستغرق مدة في بنائها، وان وجدت فهي غير منتظمة حتى بالقرب من المصب.[24]

بعد اكتشاف الزراعة تحول هذا السهل الى قاعدة أساسية في توفير الغذاء، والتي أغنت المجموعات البشرية التي استقرت فيه مشقة جمع النباتات البرية عندما تحسن الانتاج كما ونوعا. غير أنه من الصعب تحديد تاريخ بداية استغلاله، وهذا ما ينطبق على باقي مناطق بلاد المغرب عامة. وقد اختلف المؤرخون في القرن الماضي حول موضوع معرفة المغاربة الزراعة قبل أو بعد التواجد الفينيقي. غير أن الشواهد المادية تشير الى أن الزراعة كان نشاطا اقتصاديا مبكرا،[25] تطور وازدهر في الفترة النوميدية، ووصل أوجه في الفترة الرومانية، بسبب سياسة روما الاستغلالية، اذ أقدمت على انتزاع الأرض من أصحابها وتحويلها الى أملاكها، وأقامت فيها أشكالا من المستثمرات الفلاحية الكبرى سواء سالوست أو فندس أو لاتيفونديا.[26]

رغم قلة المعلومات حول كيفية ضبط أملاك منطقة الصومام الا ان هذا النوع من المستثمرات الفلاحية كان منتشرا فيها، هذا ما يفهم من نقيشة تعود للقرن الرابع ميلادي، عثر عليها في ملاكو على بعد 50 متر من الوادي على ضفته اليمنى، التي تبعد عن مدينة تبوسوبتو(Tubusuptu) بـــ25 كيلومتر، تخص ملكية خاصة تابعة لعائلة الملك نوبيل (Nubel) والد فرموس(Firmus) قائد الثورة ضد الرومان التي نقل أخبارها أميان مارسلان، فبقراءة عمودية للحروف الاولي والأخيرة للأسطر الثمانية للنقيشة تظهر كتابة

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 – 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

« Preadium Sammacis » (أنظر نقيشة بيترا)، وتبين منها أنها ملكية تابعة لابن آخر لينوبيل وهو سماكيس أو سماسيس (Sammacis).[27]

نقيشة بيترا

وبخصوص المحاصيل الزراعية المنتشرة، فقد ذكرت المصادر أن المنطقة الممتدة من قرطاجة الى طنجة والتي تدخل في نطاقها منطقة وادي الصومام منطقة لإنتاج الكروم، الزيتون، التين، الرمان والحمضيات. حيث تمكن الفلاحون في التغلب على محددات التضاريس لزراعة المناطق الجبلية العالية حتى على علو 1000متر، ونجحوا في ذلك بالرغم من صقيع الشتاء.[28]

أما عن الشواهد الاثرية الدالة على هذه الأنواع من المنتوجات خاصة زراعة الكروم والزيتون، جلها تعود الى الفترة الرومانية،[29] والتي تتمثل في انتشار معاصر المخصصة لإنتاج الزيت والخمر حول تبوسوبتو،[30] التي أقام فيها ديقلينيانوس (Dioclétien) وماكسميان (Maximien) مخازن خاصة (Horrea) لتموين الجنود أثناء الحرب ضد حلف القبائل الخمسة(Quinquegentani) الثائرة.[31]

وقد تكون شهرة المنطقة بتسويق الزيت والخمر كان أيضا بسبب انتشار هذه زراعة، والذي يظهر لنا من وجود تجار متخصصين في هذه التجارة، دلت عليهم نقوش مختلفة لمدينة صالداي (Saldae)، تذكر إحداها اسم سيدة معتقة تدعى أوريليا ليبس (Aurelia Lïas)،

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ونقيشة أخرى تشير الى اسم عائلة بولياني(Pulaenii) دونت على شاهد قبر بوليانيا تريبت(Pullaenia Trepte)[32]. كما أن وصول هذه السلعة الى عدة مناطق من العالم القديم معبأة في أمفورات تحمل ختم مدينة توبوسبتو أو مدينة صالداي والتي سأذكرها لاحقا، تبين نجاح المنطقة في اكتساح الأسواق الخارجية لمناطق منتجة لهذه المحاصيل كإيطاليا وغالة وإيبيريا.

4ـ الدور الحيوي لميناء بجاية:

تأثر ساحل بجاية بالتطورات التي طرأت على ساحل القارة الافريقية الشمالي على مر العصور الجيولوجية، والذي يظهر في شكل حواف صخرية من الرؤوس والخلجان في خط منعرج، وهذه الخلجان تظهر في شكل أنصاف دوائر مفتوحة نحو البحر.[33]وهو حطام مشتت لكتلة صخرية التوائية قديمة من النايس(gneiss) والشيست (schistes) رفعت سلسلة من حجر الكلس جنوبا، وهذا الكتلة غمرت بالماء لتغطي حاليا جزء من المساحة المشكلة للبحر المتوسط.[34] وقد سبب هذا انحدارا شديد على السواحل الجزائرية عامة،[35] مما نتج عنه خليج بجاية الذي يتمثل في حفرة مجوفة سببها هذا الانهيار الذي حدث في فترة البليوسين(Pliocène)، وقد عقب هذا ظاهرة بركانية على حواف الانكسار،[36] ما يفسر توَضُع المدينة على منطقة مرتفعة مكونة من صخور كلسية مختلطة مع الصخور البركانية.[37]

يعتبر خليج بجاية أكبر خليج في الجزائر، غير أن توغله الكبير الى الداخل من جهة ولكون المنطقة معرضة كسائر السواحل الجزائرية للرياح الشمالية الغربية والتيارات القادمة من جبل طارق التي تحمل رواسب تلقي بها على الحافات الشرقية للخليج من جهة أخرى أدى الى ظهور عدد محدود جدا من الموانئ الطبيعية التي تحمى فيها السفن طبيعيا من تلاطم الأمواج البحرية، فكان المكان الأمثل لبناء الميناء في جانبه الغربي بعيدا عن الرواسب .[38]

أما عن امتداده يبدأ من رأس كفالو شرقا وينتهي برأس كربون غربا ومرتفعات قورايا، وفي غرب هذا الخليج يظهر لنا الميناء المفتوح فقط في شماله الشرقي، حيث تشغل المنطقة المحمية من 6 الى 700 هكتار وعمقها من 7 الى 16 متر. [39]

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ولا ريب في ذكرنا أن الميناء حاليا من أهم الموانئ الجزائرية. أما قديما، كان قبلة للبحارة والنواة التي قامت عليها المدينة القديمة صالداي الواقعة عند مصب نهر الصومام، وعن أقدم ما عرف عنه، أنه كان ملجأ للقوارب والسفن الفينيقية، والذي كان له أهمية كبيرة.[40] على ما يبدو أن قرطاجة وضعت يدها عليه بعدما حلت محل المستوطنات والإسكالات الفينيقية في البحر المتوسط، [41] منذ القرن الرابع قبل الميلاد، اذ اشير في رحلة سيلاكس الى أن مدينة صالداي من بين المدن الساحلية التابعة لقرطاجة، وقد يدعم هذا وجود بقايا أثرية بونية فيها، مثل الكنز الذي عثر عليه في 24 جوان 1926 أثناء الحفر لبناء منشأة عمومية مكان مقر ترسانة، على عمق 4 أمتار داخل حفرة، حسب ما جاء في التقرير الذي كتب الى مدير الآثار القديمة للجزائر اوجين ألبرتيني(Eugène Albertini)، فقد عثر على 20 الى 25 كيلوغرام من قطع نقدية برونزية، تزن كل قطعة من 7الى 9غرام ما يعادل حوالى 3000 قطعة، وتبين من القطع المدروسة أنها عملة بونية (أنظر صورة القطعة النقدية من كنز بجاية). [42] ومن الشواهد أيضا نصب تذكارية تظهر فيها الكتابة الفينيقية أو البونية أغلبها كتابة خشنة.[43]

ولأهمية المدينة خاصة وحوض الصومام عامة تحولت الى الأملاك النوميدية ثم الموريطانية وأخيرا وقعت في يد الرومان، حيث احتفظ بها أغسطس أكتافيوس والحقها بالأملاك الرومانية وأسس فيها مستوطنة الى جانب مستوطنة تبوسوبتو، واعطى لهما حق المستعمرة الرومانية حسب ما ذكره بلينيوس.[44] وهو ما أكدته نقيشة في معلم مهدى للإمبراطور هادريانوس(Hadrianus) فيها ذكرت صلداي باسم صالداي المستوطنة اليوليانية الأوغسطية (Saldae Colonie Julienne Augustéenne).[45]

بسطت روما نفوذها على الأراضي الموريطانية بعد مقتل الملك بطليموس ابن يوبا الثاني ، فألحقت منطقة بجاية بولاية موريطانيا القيصرية، وبقي الوضع على حاله الى أن أصبحت ضمن أراضي موريطانيا السطيفية، اثر تقسيم ولاية موريطانيا القيصرية الى ولايتين موريطانيا القيصرية وموريطانيا السطيفية، في الفترة ما بين 288م و298م أو 303م ، حيث أصبحت منطقة وادي الصومام الفاصل بينهما[46].

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

صورة لقطعة نقدية من كنز بجاية

القطر الحقيقي. 2.2 سم، رقم الجرد. IN.2121 **متحف الجزائر/**

التقطت الصورة من طرف السيدة أ. سلطاني

J. Pierre Laporte, Saldae (Bougie), P222

أثناء التواجد الروماني تحول ميناء مدينة صالداي الى أحد المراكز الأساسية للتموين، لذا زادت أهميته الاقتصادية، وهذا ما نستنتجه على الأقل من المخلفات الاثرية على رأسها الأمفورات التي تعود الى منتصف القرن الثالث، التي عثر عليها في مناطق عديدة، والتي حملت أختام لمدينة صالداي وتبوسوبتو، يظهر في حاملها سواء ختم لمدينة تبوسوبتو كاملا أو مختصرا بـــتوب (Tub) أو توبس(Tubus)[47] أو بختم صغير لمدينة صالداي مختصرا بصد (SAD) المبينة في الاشكال التالية: [48]

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 – 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

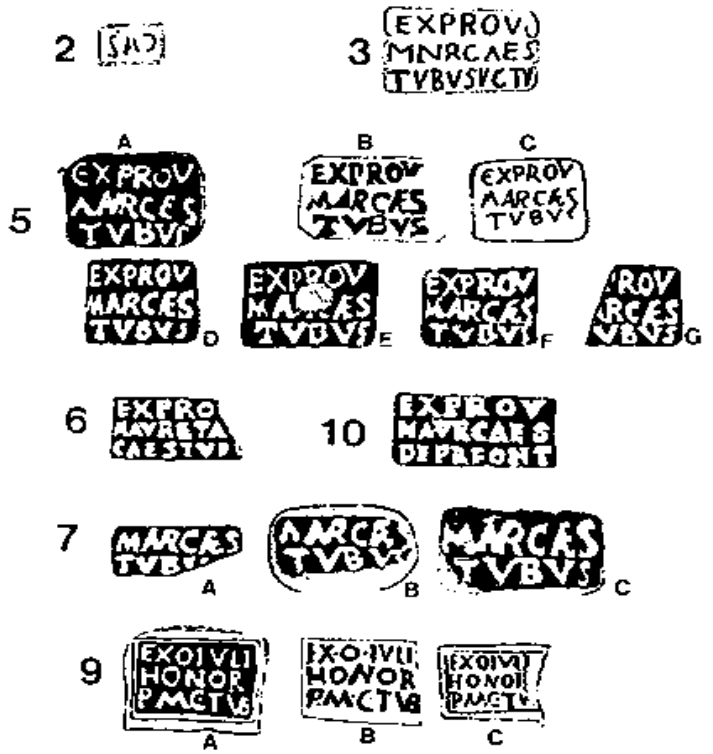

مجموعة من الاختام وجدت على أمفورات مدينة تبوسوبتو

2ــ ختم يحمل اسم مدينة صالداي مختصر(SAD)/ 3ــ ختم يحمل اسم المدينة كاملا: (Tubusuctu)

5ــ 6ــ7 ــ أختام مختلفة تحمل اسم المدينة مختصر : ت.و.ب.و.س (TUBUS)/ 9ــ أختام مختلفة تحمل اسم المدينة مختصر: ت.و.ب(TUB)

A. Naciri, F. Widemann, A. Sabir, Op. cit. P 137.

ساعدت المواقع الاثرية التي عثر فيها على هذه الأمفورات في تحديد المناطق التي كانت تصدر اليها المواد المعبئة وهي الموضحة في هذا الجدول:

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

ختم الامفورة	المنطقة التي عثر فيها	ختم الامفورة	المنطقة التي عثر فيها
MC	أوستيا (Ostie)	CAS	أوستيا
EX PROV MAVR CAES TVBVSVCTU	روما، بناصا (Banasa)	MAVR CAES TVBVS	أوستيا، روما، تاموسيدا (Thumusida)
EX PROVINC MAVRETAN CAES TVB	روما	MAVRA CAES TVB	روما
EX PROV MAVR CAES TVBVS	أوستيا، سيلا (Sala)، روما، تاموسيدا، بناصا، مروى(Meroë)، وليلي (Volubilis)	EX. O. IVLI HONOR P. MG. TVB	أوستيا، روما ، بريناست (Préneste)، ألبا فوسنس (Alba Fucens) ، سيلا
EX PROVINC MAVRETAN CAES TVB	الإسكندرية(Alexandrie) (1 و2)، تاموسيدا روما	EX PROV MAVR CAES DE PR FONT	تاموسيدا

جدول يمثل مناطق التصدير انطلاقا من مواقع أمفورات توبوسبتو

Jean- Pierre Laporte, Les amphores de Tubusuctu, Op. Cit.P137.

نستنتج من الجدول الذي يوضح المناطق التي عثر فيها على الأمفورات المصدرة من ميناء صالداي، والمتمثلة في جرار خزفية لها حاملين وعنق طويل (أنظر شكل الأمفورة)، أن الميناء كان أحد مراكز الشحن البحري التجاري المزدهرة في الفترة الرومانية. وهذا ما يفسره على الأقل انتشارها في مناطق عديدة من العالم القديم، وتعاملها مباشرة مع أكبر ميناءين في فترة الاحتلال الروماني وهما ميناء أوستيا وميناء الإسكندرية. ولعل نمو نشاط هذا الميناء هو الذي زاد من أهمية مدينة صالداي، فكما سبق الذكر كانت مستوطنة.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 – 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أما عن السلعة المعبأة في هذه الأمفورات فقد شكلت تجارة مربحة في الأسواق الخارجية، وقد يكون بسبب جودة السلعة أو انخفاض سعرها، غير أن أغلب الضن يكون لتوفر معايير الجودة الذي نستنتجه من وصولها الى مروى(Meroë) في هرم البجراوية رقم 28 لملك نوبي[49] (أنظر شكل الأمفورة المكتشفة في مقبرة البجراوية).

أمفورة تبوسوبتو مكتشفة في مقبرة البجراوية بمروى

Robert Lequément, OP. Cit ,P189.

أما عن مناطق التصدير يمكن أن نميز ثلاثة مناطق جغرافية هي:

- **شمال شرق قارة افريقيا:** كانت الأمفورات المغادرة من ميناء صالداي تصل بالتحديد الى مدينة الإسكندرية شمال مصر الذي كان من الموانئ الهامة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، ولا يستبعد توزيعها في باقي مناطق مصر التي كانت ضمن أراضي الإمبراطورية الرومانية في هذه الفترة، والتي وصلت الى مدينة مروي التي تقع في بلاد النوبة العليا بين الشلال السادس والخامس لنهر النيل، شمال مدينة الخرطوم حاليا.
- **شبه جزيرة إيطاليا:** وصلت هذه الحاويات الى ميناء أوستيا ثم وزعت في إيطاليا، ومن المدن التي وجدت فيها هذه الأمفورات مدينة روما، أوستيا، برينست وألبا فوسنس.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

- **بلاد المغرب:** من بين مناطق التسويق بلاد المغرب وبالأخص ولاية موريطانيا الطنجية، ودلت على ذلك مجموعة الأمفورات التي عثر عليها في مدينة سيلا، وتاموسيدا، بناصا ووليلي.

حسب جون بيار لابورت هذه السوائل المعبأة في الأمفورات، قد تكون خمرا أو زيتا أو غروما، ولغياب الأدلة الكاملة على طبيعتها مال الى اعتبارها زيتا، واستند الى مجموعة من المعطيات منها انتشار معاصر الزيتون في تبوسوبتو، وأنها كانت تشحن جزء من زيت منطقة سطيف وإنتاج منطقة بجاية، صور الغزلان ومنطقة القبائل غرب الصومام. [50] وقد يفسر هذا ربط المدينتين بشبكة من الطرق في اتجاهات مختلفة، طريقين يربطها بالمدينتين الساحليتين ايجيجلي(Igigili) شرقا (جيجل حاليا)، وغربا بمدينة روسازوس(Rusazus) (أزفون حاليا) مرورا بمدينة تبوسوبتو، كما يتفرع من المدينة الأخيرة طريقان داخليان يربطها بمنطقة الهضاب العليا، أحدهما يتجه الى أومال وهي أوزايا (سور الغزلان) والثاني ستيفيس (سطيف). [51]

5.خاتمة:

في الختام نستنتج أن الاستقرار البشري المبكر في منطقة بجاية جعلها تزدهر في مختلف الميادين الحضارية منها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وأدى نمو الميناء وازدياد نشاطه خاصة في العصر الروماني الى تحويلها الى أحد مراكز الحضارة الإسلامية الهامة في العصور الوسطى والحديثة في منطقة الغرب الإسلامي، فقامت فيها عاصمة سياسية واقتصادية للدولة الحمادية سماها الناصر بن علنسان "الناصرية"، وتحولت الى شعلة فكرية وثقافية جذبت انظار الشغوفين بالعلم والمعرفة، ولعل هذا ما جعل الشاعر حسن بن على بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون(القرن7هـ/القرن13م) يقارنها بأشهر المناطق الحضارية في زمانه وهي العراق والشام التي تقع فيها أكبر العواصم السياسية للدولة الإسلامية وهي بغداد عاصمة الدولة العباسية ودمشق عاصمة الامويين سابقا حيث قال: "**دع العـــراق وبغـــداد وشامها، فالناصرية ما إن مثـــلها بلـــد**" ، وتغنى بجمالها وجعلها دار النعيم في قوله: "**يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف. قل: جنّة الخلد فيها الأهل والولد**".

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[1]حليمي عبد القادر علي: جغرافية الجزائر طبيعية ـبشرية ـاقتصادية، 1976، ط2، دمشق، مطبعة الانشاء، ص 12.

[2] جوليان شارل أندري: تاريخ شمال إفريقيا، تر. محمد ميزالي والبشير سلامة، 1978، ط 3، تونس، الدار التونسية للنشر، ص40.

[3]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق ص ص 14-15

[4]أربيح محند بن أرزقي: انجراف التربة وحمايتها في التل الجزائري، 1985، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص47.

[5]المرجع نفسه، ص ص 85-86.

[6] Edouard Cat, 1891, Essai sur la province romaine Mauritanie Césarienne, Ed. Ernest Leroux, Paris, P24.

[7]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 43.

[8] Libyca, 1954, Anthropologie-Archéologie Préhistoriques, T.2, 2eme sem., Gisement N°42, P93.

[9] A. De Beaumais et P. Royer, 1926, « Fouilles de l'adrar Gueldamen, 1ere partie », Bulletin de la société préhistorique française, T23, N° 9-10, P 226.

[10] Libyca, Op. Cit., Gisement N43, P 96-P98.

[11]S. Gsell, S.D, HAAN, T1, librairie Hachette, Paris, P211.

[12]Ibid, P211.

[13]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص ص 58ـ59.

[14]أربيح محند بن أرزقي، المرجع السابق، ص ص 156-157

[15] Edouard Cat, Op. Cit, P 22.

[16] S. Gsell, Op. cit, P 158.

[17] J. M Lassere,1977, Ubique populus, Ed. National de la recherche scientifique, Paris, P 222.

[18]الشريف الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، 2002، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص 262.

[19] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 1881، مطبع بريل، ليدن، ص 265.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[20] Edouard Cat, Op. Cit., P28.

[21] E. Sommer, S.D Lexique latin- français, Ed. Librairie Hachette, Paris, Let P157.

[22]Edouard Cat, Op. Cit., P28.

[23] أربيح محند بن أرزقي، المرجع السابق، ص 77.

[24]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص ص 16ـ17.

[25] Gabriel Camps, 1979, « les numides et la civilisation punique », Antiquités africaines, T.14, P43.

[26]عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، 2008، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص81.

[27]Denis Lengrand, 1991-1992, « Inscription de Petra, et la révolte de Fermus », Bulletin archéologique du comité des travaux Historiques et scientifiques, V.23, PP 161-163.

[28] G. Ch. Picard, S.D, La civilisation de l'Afrique Romaine, Librairie Plon, Paris, P74.

[29] J. M Lassere, Op. Cit., P222.

[30]E. Albertini, S. D, L'Afrique Romaine, Presses de l'imprimerie officielle, Alger., P48.

[31]Jean- Pierre Laporte, 1980, « Les amphores de Tubusuctu et l'huile de Maurétanie Césarienne », BACTH, n. s., 12-14, P140.

[32] J. M Lassere, Op. Cit., P381.

[33]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 36.

[34]S. Gesell, Op. cit., P6.

[35]الجوهري يسري: جغرافية البحر المتوسط، 1984، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص 12.

[36]S. Gsell, Op.cit., P6.

[37]Ch. Texier, 1952, « Bougie antique », Revue archéologique, 8, P575.

[38]حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 36.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 409 - 426 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[39] J. Masselot , 1869, Ville et rade de Bougie, province de Constantine Algérie, imprimerie et librairie F. Biziou, Bougie, P 13.

[40]Strabon, XVII, 3, 12.

[41] S. Gsell, H.A.A.N, T2, Ed. Librairie Hachette, Paris, 1918, PP 157-158.

[42] J. Pierre Laporte, 2002 « Saldae (Bougie) : un trésor de monnaies puniques enfoui vers la fin de la seconde guerre punique », Bulletin de la société nationale des antiquité de France, PP211- 214.

[43] Ch. Texier, Op. cit, P574

[44] Pline, 1877, Histoire naturelle, Trad. M. E. Littré, T1, libraires imprimeurs de l'institut de France, V. 20.

[45] Hakim Idirene, 2002, « Inscriptions inédites de l'antique Saldae (Bejaia, ex Bougie) », Antiquités Africaines, P424.

[46]Paul Petit, 1974, Histoire Générale de l'empire, le bas empire, Editions du Seuil, Paris, P402

[47]Aicha Ben Abed Ben Khader, 1999, « Amphore Mauritanienne de la station 48 de la place des corporations », Antiquités Africaines, T. 35, P 171.

[48] A. Naciri, F. Widemann, A. Sabir, 1986, « Distinction par analyse par activation neutronique des amphores Gauloise 4 et de leurs imitations tardives en Maurétanie Césarienne : les Dressel 30 », Antiquités Africaines, T 22, P 130- P133.

[49] Robert Lequément, 1980, « Le vin africain à l'époque impériale ». Antiquités africaines, 16 ,P190.

[50]Jean- Pierre Laporte, Les amphores de Tubusuctu, Op. Cit., P140- 143.

[51] Edouard Cat, Op. Cit, PP 262- 264.